قد اظهر قدرة بخافي حكمته ٭ من ملك شقا الاذناجا في قسمه
لا كف له والملك في خاتمه ٭ لا رجل له والتخت موطي قدمه

فصل

واما عساكره وطرايق سلوكهم، فانهم علي دين ملوكهم، كانوا
استدرجوا من حيث لا يعلمون، ورزقوا من حيث لا يحتسبون،
مسخر لهم الخفيات الدفاين، مفتوحا عليهم خبيات الخزاين،
ميسر لهم مكامن المطالب والمعادن، كل طرف منهم قد جال
وسطا، وصار بطرق اللوم اهدي من القطا، قد دبروا الامور
وجربوا احوال الدهور، وقاسوا معاصر العصور، وكابدوا
المكايد، وعالجوا الشدايد، وما رسوا الاشيا، وذاقوا
الناس والدنيا، وعرفوا مداخل كل مارق ومخارجه،
وادركوا مداركه ومعارجه، لا يدهيهم داهيه، ولا يطغيهم
طاغيه، ربما يمرون بقفراء، ويجتزون بمهمه صحراء

شعر

لا يفزع الارنب اهوالها ٭ ولا ترى الضب بها ينجحر

فيقف بعضهم ثم تراه، ينظر الي ارض ذلك المكان وثراه، ثم يقول
ليس هذا الثري، من هذا الثري، ثم ينزل عن دابته وياخذ
من ذلك التراب ويشمه، ثم يلتفت الي جهاته الاربع فيقصد منها
جانبا ويومه، ثم لا يزال يسير بمن معه من الاعوان، حتى يصلوا
الي المكان، فيحفرون ويخرجون كمين الدفاين، وما في ذلك من المغلات
والخزاين، وكذلك اذا وصلوا الي عماير، او مروا علي مقابر،
يتوجهون الي الخبأ كانهم وضعوه بايديهم، او اوحت شياطينهم
ذلك اليهم، وربما يجيئون الي مقام، مر علي ساكنه فيه ايام
ومضى عليه فيه شهور واعوام، وفيه شيء مطمور، لم يكن لصاحبه
وساكنه به شعور، فبمجرد دخولهم اليه يفتح ذلك عليهم ويطلعون

عليه

١٥٢

عليه، وحين يطلع ساكنه علي ذلك ياكل ندامته وحسرة بيديه، وكان لهم
درايات في دهرهم عجيبه، وسهام آراء في عزمهم مصيبه، وكانوا
يجلون البقر ويركبونها، ويسرجون الحمر ويلجمونها، ويسابقون
علي ذلك اصحاب الخيل العراب الي قصبات المغانم فيسبقونها، ويطعمون
الجمل لحم الكلب والحمل، ويعتاضون عن شعير الفرس بالنخ والارز
والدخن والزبيب والعدس، وربما اعوزهم ذلك في السفر
فاطعموا دوابهم لحاء الشجر، حكي لي القاضي برهان الدين ابراهيم القوشة
الحنفي المذكور رحمه الله تعالى ان قازان والتتار، لما قدموا هذه
الديار، خرج من له قوة الفرار، فارا من التتار، كما فعلوا في
قضية تيمور، ومن جملتهم تاجر بالصالحيه، كان في عيشة
رخيه، وله اموال وافرة وقنيه، جمع ما لديه من صامت المال، ووضعه
في قدرة نحاس، ثم عمد الي بركة ماء فحفرها، ووضع تلك القدرة تحتها
وطمرها، ثم ردها الي مبانيها، واعاد مياهها الي مجاريها، وحين
استحث الوثوب، وقدمت الدواب للركوب، قالت له امراته قد
نسينا قرطين، واخاف ان يحدث عليهما في الطريق شين،
فانظر لهما مكانا، وحصل لنا بذلك امانا، فقال اما الان فلا
مكان، ثم اخذهما ووضعهما في سقف سقيفه، علي خشبه
لطيفه، ثم ركبا، وتركا الديار وذهبا، فلما حل بدمشق التتار،
نزل منهم فرقة في تلك الدار، فجعلوا ياكلون ويشربون،
وهم في خوضهم يلعبون، فبيناهم في بعض الايام في النشاط،
قرض الفار احد تلك الاقراط، فتدحرجت لؤلؤة وسقطت علي
البلاط، فبادرت الجماعة اليها مجاريه، كانهم يتسابقون الي قرطي
ماريه، فسبقت الجماعه، ودخلت البلاعه، فكشفوا عن وجه
الارض ستر خدودها، فوجدوا الاموال كاملة في قدرها،
فاخذوها واللؤلؤة واخرجوها، وقصدوا باقي القرطين واقتسموها،

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)